@ 63 @ راجع إلى القرءان ، كما روي عن عطاء الخراساني وصدر به القرطبي ، وصدر الزمخشري بما يقرب منه . .

وإذا علمت أن التحقيق أن الضمير في : { صَرَّفْنَاهُ } ، عائد إلى ماء المطر . .

فاعلم أن المعنى : ولقد صرفنا ماء المطر بين الناس فأنزلنا مطرًا كثيرًا في بعض السنين على بعض البلاد ، ومنعنا المطر في بعض السنين عن بعض البلاد ، فيكثر الخصب في بعضها ، والجدب في بعضها الآخر ، وقوله : { لِّيَذْكُرُواْ } ، أي : صرفناه بينهم لأجل أن يتذكّروا ، أي : يتذكّر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر نعمة اللّه عليهم ، فيشكروا له ، ويتذكّر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء ، فيبادروا بالتوبة إلى اللّه جلّ وعلا ليرحمهم ويسقيهم ، وقوله : { فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا } ، أي : كفرًا لنعمة من أنزل عليهم المطر ، وذلك بقولهم : مطرنا بنوء كذا . .

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، أشار له جلّ وعلا في سورة (الواقعة) ، في قوله تعالى : { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذّبُونَ } ، فقوله : { رِزْقَكُمُ } ، أي : المطر ؛ كما قال تعالى : { وَيُنَزّلُ لَكُم مّنَ السَّمَاء رِزْقاً } ، وقوله : { أَنَّكُمْ تُكَذّبُونَ } ، أي : بقولكم : مطرنا بنوء كذا ، ويزيد هذا إيضاحًا الحديث الثابت في صحيح مسلم ، وقد قدّمناه بسنده ومتنه مستوفى ، وهو أنه صلى ا عليه وسلم قال لأصحابه يومًا على أثر سماء أصابتهم من الليل : (أتدرون ماذا قال ربكم) ؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم ، قال : (قال : أصبح عبادي مؤمن بي وكافر ، فأمّا من قال : مطرنا بفضل اللّه ورحمته ، فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب . وأمّا من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب) . .

وقد قدّمنا أن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا } ، يدخل فيه من قال : مطرنا بنوء كذا . ومن قال : مطرنا بالبخار ، يعني أن البحر يتصاعد منه بخار الماء ، ثم يتجمّع ثم ينزل على الأرض بمقتضى الطبيعة لا بفعل فاعل ، وأن المطر منه ؛ كما تقدّم إيضاحه فسبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا . { وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً * فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً } .